

جرح الأقران عند المحدثين وقيمته العلمية

مفهومه وأسبابه

د . عائشة غرابلي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

جامعة العقيد الحاج لخضر . باتنة

الملخص :

يسعى هذا البحث لبيان مفهوم " جرح الأقران " عند علماء الجرح والتعديل وما أعطوه له من خصوصيات تتعلق بدوافعه البشرية، كالحسد أو المنافسة أو الاختلاف العقائدي وغير ذلك، مع شواهد تطبيقية وأمثلة عملية لعدول من الرواة كانوا ضحايا لسبب من أسباب جرح الأقران، وتضمن هذا البحث الإشارة إلى حسن تقدير المحدثين لجرح الأقران في نظرية نقد الرجال، وقد خلص هذا البحث إلى جملة من النتائج منها: لا يقبل الجرح في حق من استفاضت

عدالته واشتهرت إمامته، كما أنه يتوقف في قبول الجرح إذا خشي أن يكون
باعثه يحمل طابعاً شخصياً كالاختلاف في الاعتقاد أو المنافسة بين الأقران.

Summary

This research attempts to clarify the meaning of peer's wounding at the scholars of wounding and amendment. They gave to this term some specificities, related to its human motives, such as envy and competition, or theological differences, and so on...

This study presented several practical examples as applied proofs to the narrator's reverse, which were victims of one of the causes of peers wounding.

This research dealt with the discretion of hadith scholars to peers wounding in narrator's critic theory.

This study concluded that wounding the upright narrators or famous imams is not accepted. We have to stop and pay attention when wounding can be related to personal motives, such as theological differences or competence between peers.

المقدمة :

يعتبر علم معرفة رجال الحديث المسمى بعلم الجرح والتعديل الركن الأساسي لعلم مصطلح الحديث ، كيف لا وأسباب رد الحديث وقبوله لها تعلق مباشر بأحوال الرواة وصفاتهم ومدى اطراد ضبطهم وعدالتهم ، فقد أخذ المحدثون جميع احتياطاتهم لأي عارض قد يعرض لعدالة أو ضبط الرواي بعد ثبوت أصالتهما فيه ، وهو ما يمثل معالم منهجية لها قيمتها في نظرية نقد الرجال عند المحدثين ، ومن أكثر هذه المباحث التي تحمل هذا المعنى وتشير إلى حسن تقديره ، مبحث "جرح الأقران" وكيف تعامل معه المحدثون والنقاد لما يحمله من خصوصيات تعفيه من الخضوع للقواعد العامة للجرح والتعديل ، لبيان أهمية هذا المبحث عند علماء الجرح والتعديل وقيمتة العلمية في نظرية نقد الرجال جاء هذا البحث من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول: تعريف جرح الأقران

الجرح لغة: الفعل، جرحه يجرحه جرحاً: أثر فيه بالسلاح، وجرحه أي أكثر فيه ذلك؛ والاسم الجرح بالضم والجمع أجراح وجروح وجراح، والجراحة اسم الضربة أو الطعنة، والإستجراح: النقصان والعيب والفساد¹.

¹ - لسان العرب لابن منظور، دار الإحياء للتراث العربي، ط2، 1990، ج 2، ص 422.

الجرح اصطلاحاً: عرّفه ابن الأثير في قوله: هو وصف متى التحق بالراوي اقتضى أن لا يُعتبر بروايته وقوله مردود.

الأقران لغة: جمع قرن - بكسر القاف - وهو الكف، والنظير في الشجاعة والحرب، وفي حديث ثابت بن قيس: "بئسما عودتم أقرانكم" أي نظراءكم وأكفءكم في القتال، وجمعه قرون¹.

والقرن: هو القوم المقترنون في زمان واحد، وقيل هو: الأمة تأتي بعد الأمة، وقيل هو: الوقت من الزمان، وقد اختلف العلماء في تحديد مدته والأرجح أنها مائة سنة، واستدلوا لذلك بأن النبي ﷺ مسح على رأس غلام وقال: "عش قرناً، فعاش مائة سنة".

الأقران اصطلاحاً: لم يخرج التعريف الاصطلاحي لرواية الأقران عند العلماء مصطلح الحديث عن حدود هذه المعاني: فالأقران عندهم هم: الذين تقارب إسنادهم وسنّهم.

يقول الحافظ ابن حجر: إن تشارك الراوي ومن روى عنه في أمر من الأمور المتعلقة بالرواية مثل: السن واللقى،

¹ - المصدر نفسه، ج 11، ص 140.

وهو الأخذ عن مشايخ فهو النوع الذي يقال له: رواية الأقران لأنه حينئذ يكون عن قرينه¹.

قال السخاوي: الأقران هم من تماثلوا أو تقاربوا في السن، يعني الأخذ عن الشيوخ، وكذا في السن².

ومحصلة أقوال العلماء: أن الأقران هم جماعة من العلماء تقاربوا في السن وتقاربوا في الإسناد أيضاً.

بمعنى آخر: هم جماعة من العلماء عاشوا في زمن واحد، وعاصروا بعضهم بعضاً وإن تفاوتت أسنادهم، وقد يكونون متفقين في الأخذ عن بعض الشيوخ أولاً.

المطلب الثاني: أسباب جرح الأقران

إنّ الأصل الذي جرى عليه المحدثون في قواعدهم عند قيامهم بالجرح والتعديل هو: توثيق العدل الضابط وقبول روايته، وردّ رواية فاقد العدالة أو الضبط، ولكن البعض شدّوا عن هذه القاعدة وقدحوا في بعض العلماء من أقرانهم الذين ثبتت عدالتهم وظهرت ثقتهم. ولقد اجتهد بعض العلماء في افتراض أسباب لذلك

¹ - زهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر العسقلاني، مكتبة منارة العلماء، 1409هـ.

² - فتح المغيث في شرح ألفية الحديث للسخاوي، دار الكتب العلمية، 1413هـ، ج3، ص 139.

من خلال أقوال أئمة الجرح والتعديل، ومن خلال تعليق النقاد على هذه الأقوال،
ومن بين الأسباب:

1- الحسد والغيرة والمنافسة:

الحسد: هو ان تكره النعمة التي أنعم الله بها على غيرك وتحبّ زوالها عنه¹. وقد سميَّ المنافسة في الحصول على الشيء حسداً، وعليه يفهم حديث النبي ﷺ: "لا حسد إلا في إثنين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار" البخاري (7539). وقد حذر العلماء من آفة الحسد، وبنوا خطورتها خاصة إذا كانت بين العلماء.

قال ابن عباس رضي الله عنه: "استمعوا علم العلماء، ولا تصدقوا بعضهم على بعض، فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغاييراً من التيوس في زربها"².
والعلماء لا يحسدون بالمعنى المذموم البغيض، وإن كان ينشأ بينهم نوع من التنافس قد يجزّ إلى قليل من الحسد، فينشأ عنه كلام سوء وخروج عن الجادة.

1 - إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، دار النور الإسلامية، ج 3، ص 179.

2 - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، تحقيق: مسعد السعدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص 435، رقم 1183.

والفرق بين المنافسة والحسد أن المنافسة هي الرغبة في الشيء ومحبة الأفراد به والمغالبة عليه¹، وهي محمودة عكس الحسد.

وهذه بعض أقوال العلماء في جرح الأقران الناشئ عن التحاسد:

يقول الإمام المناوي رحمه الله: من الصبر الحسن التصبر على ما ينشأ عن الأقران وأهل الحسد سيما ذوي البذاءة منهم، ووقوع هؤلاء في الأعراض، ونقصهم لما يهمهم من الأمراض، وذلك واقع في كل زمان؛ وحسبك قول الشافعي في عقود الجمان في الذبّ عن أبي حنيفة: كلام المعاصرين مردود غالبه حسد، وقد نسب إليه جماعة أشياء فاحشة لا تصدر عمّن يوصف بأدنى دين، وهو منها بريء...²

وقال الإمام الذهبي رحمه الله: لا يعتدّ غالباً بكلام الأقران إذا كان بينهم منافسة³.

وقال أيضاً: وقد عُرف وهن كلام الأقران المتنافسين بعضهم في بعض نسأل الله السماح⁴.

وقال أيضاً في موضع آخر: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، لاسيّما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وما ينجو منه إلّا من عصمه الله، وما

1 - النهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج 5.

2 - فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، دار المعرفة بيروت، ط 2، ج 4، ص 234.

3 - سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط 11، ج 14، ص 42.

4 - المصدر نفسه، ج 17، ص 462.

علمت أن عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصدّيقين، ولو شئت لسردت من ذلك كرايس، اللهم فلا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربّنا إنك رؤوف رحيم¹.

ونذكر بعض الأمثلة عن ذلك:

المثال الأول:

موقف الإمام محمد بن يحيى الذهلي من الإمام البخاري في مسألة "القول بخلق القرآن"، ويقول التاج السبكي في هذا: فقد نزل الإمام البخاري نيسابور فاجتمع إليه الناس جميعاً العلماء والعوام، وانفضّ كثير من الطلبة عن حلقات غيره، حتى ظهر الخلل في حلقة محمد بن يحيى الذهلي، فحسد البخاري لذلك، وأساء القول فيه، فقد قرّر السبكي رحمه الله في ترجمة البخاري أن سبب ذلك الموقف هو الحسد، فأضاف قائلاً: ولا يرتاب المنصف في أن محمد بن يحيى الذهلي لحقته آفة الحسد التي لم يسلم منها إلا أهل العصمة².

1 - ميزان الاعتدال في نقد الرجال للحافظ الذهبي، دار الكتب العلمية، ط1، ج1، ص 111.

2 - طبقات الشافعية الكبرى للسبكية، طبعة الحلبي المحققة، ج2، ص 230.

ويذكر الإمام الذهبي رحمه الله أنه قد سأل بعضهم البخاري عمّا بينه وبين محمد بن يحيى الذهلي، فقال البخاري: كم يعترني محمد بن يحيى الذهلي الحسد في العلم، والعلم رزق الله يعطيه من يشاء¹.

المثال الثاني:

قال الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة المحدث محمد بن عبد الله ابن سليمان الملقّب بمُطَيّن: تكلم فيه محمد بن عثمان بن أبي شيبة، وتكلم هو في ابن عثمان، فلا يُعتدّ غالباً بكلام الأقران، لاسيّما إذا كان بينهما منافسة، فقد عدّد ابن عثمان لمُطَيّن نحواً من ثلاثة أوهام، فكان ماذا؟ ومُطَيّن أوثق الرجلين، يكفيه تركية مثل الدار قطني له، فقد سُئل عنه الدار قطني فقال: ثقة جبل². وقال ابن عدي الجرجاني بعد أن ذكر قول مُطَيّن في محمد بن عثمان ابن أبي شيبة: ولعل مطين بالبلدية لأنهما كوفيان جميعاً قال فيه ما قال³.

المثال الثالث:

الإمام الحافظ الحسن بن علي بن شبيب أبو علي البغدادي المعمرى، قال عنه الحافظ الذهبي رحمه الله في ترجمته: الإمام الحافظ المجود البارع محدث العراق، جمع

1 - سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي، ج 12، ص 457.

2 - المصدر نفسه، ج 14، ص 42.

3 - يقصد أن السبب كلام مطين فيه وهو الحسد والمناقشة لأنهما من بلد واحد.

وصنف وتقدم¹. ثم قال عنه في ميزان الاعتدال: قال عبدان: حسداه، لأنه كان رفيقهم، فكان إذا كتب حديثاً غريباً لا يقيدهما².

2- العداوة والبغضاء:

ربما يختلف القرينان في المذهب أو في فروع الاعتقاد أو في غير ذلك فتنشأ عن ذلك عداوة بينهما، وكل واحد منهما يظن صاحبه مخطئاً فيقول فيه، والحب يتولد عنه رضا يجعل الإنسان لا يرى إلا الحسنات ويغفل عن السيئات، فلا يرى إلا كل خير ويتأول لما يراه من خطأ أو تقصير، وصدق الشاعر إذ قال:

وعين الرضا عن كل عيب كليله

ولكن عين السخط تُبدي المساوياً

وجاء في الحديث الشريف: "حبك الشيء يعمي ويصم" أبو داود (5130).

ويقول الإمام الذهبي في هذا الشأن: لا يسمع قول الأعداء بعضهم في بعض. وقال أيضاً: لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر ولا من الكلام

¹ - سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي، ج 13، ص 511.

² - ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي، ج 1، ص 504.

بنفس حاد فيمن بينه وبينه شحناء وإحنة، وقد علم أن كثيراً من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به لاسيما إذا وثق الرجل جماعة يلوح على قولهم الإنصاف¹.

ويقول الشيخ أبو غرّة عبد الفتاح: إذا صدر الجرح من تعصّب أو عداوة أو منافرة أو نحو ذلك فهو جرح مردود، وكذا جرح الأقران بعضهم في بعض إذا كان بغير حجة وبرهان وكان مبنياً على التعصب والمنافرة، فإن لم يكن هذا ولا ذاك فهو مقبول فافهم².

ومن أمثلة هذا النوع من الجرح (أي الذي سببه العداوة...):

المثال الأول:

قال الإمام الذهبي في ترجمة أبي الزناد عبد الله بن ذكون: قال ربيعة فيه: ليس بثقة ولا رضي. قال الذهبي: ولا يسمع قول ربيعة فيه، فإنه كان بينهما عداوة ظاهرة³.

قال إبراهيم بن المنذر الحزامي: هو كان سبب جلد ربيعة الرأي أي أبو الزناد، ثم ولي بعد ذلك المدينة فلان التيمي فأرسل إلى أبي الزناد فطين عليه بيتاً فشفع فيه ربيعة.

¹ - سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي، ج 7، ص 41.

² - قواعد في علوم الحديث لظفر أحمد التهانوي، دار السلام، ط2، ص 197.

³ - ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي، ج 2، ص 36.

قال الذهبي رحمه الله: تؤول الشحناء بين القرناء إلى أعظم من هذا، ولما رأى ربيعة أن أبا الزناد يهلك بسببه ما وسعه السكوت فأخرجوا أبا الزناد وقد عاين الموت وذبل ومالت عنقه نسأل الله السلامة...¹

المثال الثاني:

قال الذهبي رحمه الله في ترجمة ابن أبي داود: لا ينبغي سماع قول ابن صاعد فيه كما لم نعتد بتكذيبه لابن صاعد، وكذا لا يسمع قول ابن جرير فيه فإن هؤلاء بينهم عداوة بينة، فقف في كلام الأقران بعضهم في بعض.²

المثال الثالث:

نقل الإمام الذهبي قدح أبي نعيم في ابن مندة ثم قال مخاطباً أبا نعيم: لا يعبأ بقولك في خصمك للعداوة المشهورة بينكما وكما لا يُعبأ بقوله فيك، فلقد رأيت لابن مندة مقالاً في الحط علي أبي نعيم من أجل العقيدة أقذع فيه، وكل منهما صدوق غير متهم بحمد الله في الحديث.³

3- الغضب وسوء الرأي:

1 - سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي، ج 17، ص 34.

2 - تذكرة الحفاظ للإمام محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، ج 2، ص 772.

3 - المصدر نفسه، ج 3، ص 1034.

الغضب كالحب يعمي ويصم، وعندما يغضب الإنسان لا يرى إلا كل سيء، ولا تطلّع عينه إلا على كل قبيح.

والعلماء هم بشر أيضاً، يرضون فيرون الحسن ويذكرونه، وقد يغضب أحدهم فلا يرى إلا القبيح فيذكره، لهذا فقد كان النبي ﷺ غالباً ما يدعو ربّه فيقول: أسألك كلمة الحق في الرضا والغضب" النسائي، وللعلماء أقوال في ذلك:

يقول الإمام الشخاوي رحمه الله: ربما حصل غضب لمن هو من أهل التقوى فبدرت منه بادرة، فحبك الشيء يعمي ويصم، لا أنتم مع جلالتهم ووفور ديانتهم تعمّدوا القدح بما يعلمون بطلاته، حاشاهم وكلّ تقيٍّ من ذلك¹.

وقد تكلم بعض الأقران في بعض ولم يحملهم على ذلك إلا مطلق الغضب وهذه أمثلة تبين ذلك:

المثال الأول:

قال الإمام الذهبي رحمه الله: أما كلام النسائي فيه - يعني أحمد بن صالح - فكلامٌ موتور، لأنه آذى النسائي وطرده من مجلسه، فقال فيه ليس بثقة. وقال في موضع آخر: وكان سبب تضعيف النسائي له أن أحمد بن صالح كان لا يحدث أحداً حتى يشهد عنده رجالان من المسلمين أنه من أهل الخير والعدالة فكان يحدثه، ويبدل

¹ - فتح المغيث للسخاوي، ج 3، ص 274-275.

له علمه، فأتى النسائي لسمع منه، فدخل بلا إذن ولم يأت به برجلين يشهدان له بالعدالة، فلما رآه في مجلسه أنكروه، وأمر بإخراجه، فضعفه النسائي لهذا¹.

المثال الثاني:

قال الحافظ أبو حامد بن الشرقي: كان يحيى بن معين وأبو عبيد شيئا الرأي في الشافعي. قال الإمام الذهبي معلقا: فصدق والله ابن الشرقي، أساء في ذاتهما في الكلام في عالم زمانه. فسوء رأيهما في الشافعي ناشئ من عدم معرفتهم به، وعندما خالفهم في فروع الفقه غضبا، وأساء الظن به، فأساء القول فيه، وكما قلنا سابقاً إن الغضب يعمي ويصم.

4- الجهل بقدر العلماء:

إن المعاصرة حجاب، فقد يخفى قدر المعاصر وشرفه على معاصريه بسبب عدم اللقاء بهم أو المجالسة لهم، أو المذاكرة معهم، فنقد الراوي لا بد أن يبنى على معرفته أو نقل كلام الثقات المصنّفين الذين يعرفونه، وقد يتكلم في الراوي بعض معاصريه، خاصة الذين لم يُجالسوه ويُدارسوه أو الذين سمعوا عنه من حاسديه ومبغضيه فقط، وهذه بعض الشواهد تؤكد هذا المعنى:

المثال الأول:

¹ - سير أعلام النبلاء الذهبي، ج11، ص 83.

حينما تكلم يحيى بن معين في الإمام الشافعي علق الإمام أحمد بن حنبل على ذلك قائلاً: من أين يعرف يحيى بن معين الشافعي؟ هو لا يعرف الشافعي، ولا يعرف ما يقوله أو نحو هذا، ومن جهل شيئاً عاداه¹. وأيد الإمام ابن عبد البر قول الإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى.

وقد صحح عن ابن معين من طرق أنه كان يتكلم في الشافعي حتى نهاه أحمد بن حنبل رحمه الله ونبهه على موضعه من العلم وقال له: لم تر عينك قط مثل قول الشافعي. وقال الإمام الذهبي متعجباً: ما تكلم في الشافعي إلا حاسد أو جاهل بحاله².

المثال الثاني:

قال الإمام العجلي عند ترجمته للإمام الشافعي: هو ثقة صاحب رأي وليس عنده حديث، وقد نقل الإمام الذهبي هذا الكلام ثم عقب عليه قائلاً: "هو قول من لا يدري ما يقول في حق الإمام أبي عبد الله، وما عرفه العجلي ولا جالسه، فالشافعي من جلة أصحاب الحديث، رحل فيه وكتب بمكة والمدينة والعراق، واليمن،

1 - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ص 447.

2 - سير أعلام النبلاء الذهبي، ج 10، ص 48.

وُلِّقَ ببغداد: ناصر الحديث، وهو قلّما يوجد له حديث غلط، والله حسيب من يتكلّم بجهل أو هوى، فإنّ السكوت يسع الشخص¹.

المثال الثالث:

قال الإمام مالك رحمه الله في حق محمد بن إسحاق بن يسار: وهو دجال من الدجاجلة، وقد حمل بعض العلماء كلام الإمام مالك هذا في ابن إسحاق بأنه ناشئ عن عدم المعرفة التامة به، أو المجالسة له والسماع منه واختبار ما عنده.

فعن يعقوب بن شيبة قال: سألت علياً - يعني بن المديني - فقلت: كيف حديث ابن إسحاق عندك؟ فقال: نعم حديثه عندي صحيح، قلت: فكلام مالك فيه؟ قال: مالك لم يجالسه ولم يعرفه، وأي شيء: حدّث به ابن إسحاق بالمدينة؟²

5- الطبيعة البشرية:

لكل إنسان أحباباً وأعداءً، وموافقين ومخالفين، وقد جُبل الإنسان على كلام في أعدائه ومخالفيه إلا من رحم الله، وقلّما يسلم أحد من ذلك، ويكفي في هذا أن ننظر في فهرس كتاب: الرواة الثقات المتكلّم فيهم بما لا يوجب ردّهم للحافظ الذهبي رحمه الله لتجد فيه أمثال: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، وإسماعيل بن

¹ - الرواة الثقات المتكلّم فيهم بما لا يوجب ردّهم للإمام الذهبي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ص 32.

² - سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 7، ص 44.

علية، وسليمان بن مهران الأعمش، ومالك بن دينار ومحمد بن إدريس الشافعي... وغيرهم من كبار الأئمة. وما مثل من تكلم في كبار الأئمة إلا كما قال الحسين بن حميد:

يا ناطح الجبل العالي ليُكَلِّمَه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ومن أسباب التكلم في كبار الأئمة أيضاً التأويل واختلاف الاجتهاد، بحيث جرت طبيعة البشر أنهم يختلفون في الحكم على الأشياء، وتختلف زوايا نظرهم للأمور، فقد يرى البعض أن دخول العلماء على السلطان أمرٌ قاذح فيهم وهو لم يعلم حقيقة نوايا العلماء في نصيح وإرشاد السلطان ورفع الظلم على المظلومين وغيرها...

وقد يرى بعض العلماء أنّ اخذ الأجرة على التحديث أمر قاذح في العالم، وهو لم يعلموا ظروف ذلك العالم وكيف أن التحديث يستغرق جلّ وقته فلا يجد ما ينفق به على عياله.

وقد يرى بعض العلماء جواز التمتع بزينة الحياة من ملابس ومأكل ومسكن، في حين يرى غيرهم أن ذلك مما يقدر فيهم وغير ذلك من الأمثلة كثير.

ومثال عن هذا:

حميد بن هلال العدوي من كبار التابعين وثقة ابن معين والعجلي والنسائي وغيرهم
بينما قال يحيى القطان: كان ابن سيرين لا يرضاه وقد بين أبو حاتم الرازي سبب قدح
ابن سيرين فيه فقال: إن ذلك كان بسبب أنه دخل في شيء من عمل السلطان،
وكان في الحديث ثقة¹.

6- الخلافات العقائدية:

لقد ميّز الله الإنسان بالعقل وكرّمه به على سائر المخلوقات، وكان من حكمة
المولى عزّ وجل أن جعل للناس فهوماً متفاوتة يتمايز الناس من خلالها ويختلفون في
فهم النصوص الشرعية والتعامل معها، فظهر ما يسمى بالمذاهب الفقهية والعقائدية
وغيرها...

والخلاف لا يوجب قدحاً في المخالقات طالما كان مقبولاً ومبنياً على أسس
شرعية غير مخالف للنصوص الشرعية الثابتة والقطعية وغير قادح في عقيدة المسلم.
ولكن بعض العلماء غفر الله لهم أذى بهم الخلاف الذي بينهم إلى القدح في
بعضهم، ومن أمثلة ذلك مايلي:

المثال الأول:

¹ - الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن محمد (ابن حاتم الرازي)، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1،
ج3، ص 230.

قال الإمام الذهبي رحمه الله: كان أبو عبد الله بن منده يُقَدِّعُ المقال في أبي نعيم لمكان الاعتقاد المتنازع فيه بين الحنابلة وأصحاب أبي الحسن "الأشعري" ونال أبو نعيم أيضاً من أبي عبد الله في تاريخه، وقد عرف وهن كلام الأقران المتنافسين بعضهم في بعض نسأل الله السماح¹. ويضيف الإمام الذهبي رحمه الله: البلاء الذي بين الرجلين الاعتقاد².

المثال الثاني:

وإنك لتعجب أشد العجب حينما تقرأ كلام السبكي في طبقاته عن شيخه وأستاذه الذهبي، فهو شديد التحامل عليه، مفرط في انتقاده لأن السبكي شافعي المذهب، أشعري الاعتقاد، والذهبي حنبلي المذهب والاعتقاد، ولذلك وبسبب مخالفته له في بعض فروع الاعتقاد تراه يأخذه التعصب والتحامل حتى يخرج عنه حد الإنصاف والاعتدال، وهو الذي طالما عاب غيره بذلك، فتراه يقول عن شيخه الذهبي: وقد وصل من التعصب المفرط إلى حدٍ يسخر منه، وأنا أخشى عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين وأئمتهم الذين حملوا لنا الشريعة النبوية فإن غالبهم

1 - سير أعلام النبلاء الذهبي، ج17، ص 462.

2 - ميزان الاعتدال للذهبي، ج6، ص 76.

أشاعرة، وهو وإذا وقع بأشعري لا يبقى ولا يذر، والذي اعتقده أنهم خصماؤه يوم القيامة عند من لعلّ أدناهم عنده أوجه منه¹.

الخاتمة

جرح الأقران هو جانب متعلق بالنفس البشرية وطبيعتها وهو موجود عبر مختلف الأزمان والأمصار، وهناك أسباب عديدة له كما بينت ذلك في هذا البحث ، وتترتب عليه آثار عديدة أيضاً نذكر منها:

- عدم تضرّر المتكلم فيهم بل ربما كان القدح فيهم سبباً لتعريف الناس بفضلهم وذبوع صيتهم وشهرتهم.
- عيب المجرح أو تضعيفه والقسوة في الرد عليه.
- تضعيف المتكلم فيه خاصة عند موافقي المتكلم في المذهب.
- اليقين التام بالنقص البشري، وأنّ كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلاّ المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.
- الخروج عن حد الاعتدال في الجرح والتعديل.
- محاولة أعداء السنة الطعن في الأئمة بتتبع هذه الأقوال واعتمادها والبناء عليها والطعن في منهج المحدثين في الجرح والتعديل.

¹ - قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين للإمام السبكي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط 6، ج 6، ص 76.

- لا يقبل الجرح في حق من استفاضت عدالته واشتهرت إمامته
 - يتوقف في قبول الجرح إذا خشي أن يكون باعته يحمل طابعاً شخصياً
 - كالاختلاف في الاعتقاد أو المنافسة بين الأقران .
- والله ولي التوفيق

قائمة المصادر والمراجع:

- إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، طبعة النور الإسلامية.
- تذكرة الحفاظ للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، 1954م.
- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، تحقيق مسعد السعدني، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1418هـ.
- الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن محمد المعروف بابن أبي حاتم الرازي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1، 1271هـ.
- الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردّهم للإمام الذهبي، تحقيق محمد إبراهيم الموصللي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1412هـ.
- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط11، 1417هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، طبعة الحلبي المحققة، 1382هـ.
- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي، دار الكتب العلمية، 1413هـ.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1391هـ.
- قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين للإمام السبكي مطبوع ضمن أربعة رسائل في علوم الحديث، إعتنى بها الشيخ عبد الفتاح أبو غدة دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط6، 1999م.
- قواعد في علوم الحديث لظفر أحمد التهانوي، دار السلام، ط6، 1421هـ.
- لسان العرب لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1990م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للحافظ الذهبي، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، 1995م.
- نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر العسقلاني مكتبة منارة العلماء، 1409هـ.